

أوليات الموهبة وظهوراتها الحية ما كانت لتكفي غرور بروست لا سيما إن عرفنا أنه هجر دراسة الحقوق، والسلك الدبلوماسي، وكل رغبات والده من أجل الأدب وحده، وقد تردد على الصالونات الأدبية برغبة حقيقية من أجل أن يتعرف إلى رجالات الأدب والفكر في فرنسا، وقد تعرف فيها فعلاً إلى العديد من الأسماء الأدبية والفكرية اللامعة آنذاك، أمثال: مونتسكيو، وأنتول فرانس، وآل الفونس دوديه، وبعض النساء العارفات بالأدب ذوات الشهرة الطاغية في المجتمع الباريسي، وبعض الفنانين والفنانات.. الخ.

إذن، لقد أخفق بروست في أن يقنع والده أولاً بموهبته الأدبية بعدما أخفق الكتاب (وقد طبعه على نفقته الخاصة وكان باهظ الثمن) كما أخفق في إقناع معارفه وأصحاب دور النشر والقراء بموهبته الأدبية، وهذا ما سبب له حالة من الاحباط والانقطاع عن الكتابة والتأليف.

في الفترة الواقعة ما بين عامي (1896) أي سنة صدور (المسرات والأيام) وبداية عام (1910) أي مع شروعه بكتابة (البحث عن الزمن المفقود) كان بروست مشغولاً بكتابة رواية عنوانها (جان سانتوي) التي لم يعد إلى تنقيحها وتهذيبها مرة أخرى، وقد حشد فيها الكثير من سيرته الذاتية وعلاقاته الشخصية، ورغائبه، ودوافعه، وقد كان فيها أيضاً الكثير من الخطوط الأساسية التي عرفناها في روايته (البحث عن الزمن المفقود)، هذه الرواية (جان سانتوي) لم تنشر إلا في عام (1952)، بالإضافة إلى هذه الرواية، انشغل بروست بكتابة دراسات نقدية حول أعلام الأدب والنقد، نشرها في مجلات عديدة، كانت هي أهم نشاطات بروست الأدبية والثقافية في تلك الفترة، وكان أهمها مقالات مترجمة من حياة الشاعر الانكليزي راسكين وأدبه، ومقالات أخرى عنونها بـ (ضد سانت-يوف) كان أهم ما فيها الحساسية النقدية التي يتمتع بها بروست، وقدرته على التأويل وفهم دواخل النص الأدبي وانزياحاته بعيداً عن التسجيلية حيناً، واقترباً من الخيال حيناً آخر. إذن، على الرغم من الاخفاق الذي شهده كتابه الأول (المسرات والأيام) واصل بروست الكتابة الأدبية، وظلّ مؤمناً بأنه جاء إلى الدنيا بمهمة أديب وليس بمهمة أخرى، وإنني لأرى، وبعد قراءتي لـ (المسرات والأيام) أن قصصه جيدة وذات انشغال بما هو نفسي ووجداني، وبما هو ثنائي في الرغبات والتطلعات، كما أنها قصص مهمومة بما هو ضدي (أي درامي) ما بين الأم ورغباتها، والابنة ونزواتها، وما بين الأب وأحلامه، والابن واهتماماته، كما أنها قصص ذات تأثير اجتماعي لا يعيها سوى النبيرة